

أضواء البيان

. @ 347 @

قوله تعالى : { وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ } .
ذراكم معناه : خلقكم ، ومنه قوله تعالى : { وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ } وقوله في الأرض : أي خلقكم وبثكم في الأرض ، عن طريق التناسل ، كما قال تعالى : { وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً } وقال : { ثُمَّ إِذْ آتَيْنَاهُم بِشَارٍ تَنْتَشِرُونَ } وقوله : { وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ } أي إليه وحده ، تجمعون يوم القيامة أحياء بعد البعث للجزاء والحساب . .

وما تضمنته هذه الآية ، من أنه خلقهم ، وبثهم في الأرض . وأنه سيحشرهم إليه يوم القيامة . جاء معناه في آيات كثيرة كقوله في أول هذه السورة { وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ } إلى قوله : { ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ } وذكر جل وعلا أيضاً هاتين الآيتين في سورة الملك في قوله تعالى : { قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ * قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * وَيَقُولُونَ مَتَى هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ } والآيات في هذا المعنى كثيرة . .

قوله تعالى : { وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ } . قد قدمنا الآيات الدالة على الإماتتين والإحياءتين ، وأن ذلك من أكبر الدواعي للإيمان به جل وعلا في سورة الحج في الكلام على قوله : { وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ } وفي سورة البقرة في الكلام على قوله تعالى : { كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ } . فأغنى ذلك عن إعادته هنا . .

قوله تعالى : { وَلِلَّهِ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ } . بين جل وعلا في هذه الآية الكريمة : أن له اختلاف الليل والنهار ، يعني : أن ذلك هو الفاعل له وهو الذي يذهب بالليل ، ويأتي بالنهار ، ثم يذهب بالنهار ويأتي بالليل ، واختلاف الليل والنهار ، من أعظم آياته الدالة على كما قدرته ، ومن أعظم مننه على خلقه كما بين الأمرين في سورة القصص في قوله تعالى { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ } .
يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ

عَلَّيْكُمْ النِّهَارَ سَرْمَدًا إِلَّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَّا هُ غَيْرُ
 اللّٰهَ يَأْتِيَكُمُ اللَّيْلُ تَسْكُدُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ * وَمِنْ
 رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنِّهَارَ لِتَسْكُدُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا
 مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } . أي لتسكنوا في الليل وتطلبوا معاشكم
 بالنهار . والآيات الدالة على اختلاف الليل والنهار ، من أعظم الآيات الدالة على عظمة
 الله ، واستحقاقه للعبادة وحده كثيرة جداً كقوله تعالى : { وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ
 وَالنَّهَارُ } وقوله : { وَآيَاتُهُ لَكُمْ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ
 فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ } وقوله { يُغَشِّي اللَّيْلَ النَّهَارَ } وقوله { وَلَا
 اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ } وقوله تعالى : { وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ
 وَالنَّهَارَ } . وقوله تعالى : { إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا
 خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رُضًى لِّآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } والآيات
 بمثل هذا كثيرة جداً ، وقوله تعالى : أفلا تعقلون : أي تذكرون بعقولكم أن الذي ينشئ
 السمع والأبصار والأفئدة ، ويذركم في الأرض وإليه تحشرون ، وهو الذي يحيي ويميت ويخالف
 بين الليل والنهار أنه الإله الحق المعبود وحده جل وعلا ، الذي لا يصح أن يسوى به غيره
 سبحانه وتعالى علواً كبيراً . .

قوله تعالى : { بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالِ الْوَاقِلُونَ قَالُوا أَعِزَّ
 مَتْنًا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَعِزَّ لِمَا يُعْذِرُونَ } . لفظة بل هنا للإضراب
 الانتقالي . .

والمعنى : أن الكفار الذين كذبوا نبينا صلى الله عليه وسلم ، قالوا مثل ما قالت الأمم
 قبلهم ، من إنكار البعث ، لأن الاستفهام في قوله : { أَعِزَّ لِمَا يُعْذِرُونَ } إنكار
 منهم للبعث . والآيات الدالة على إنكارهم للبعث كثيرة كقوله تعالى عنهم : { مَنْ يُحْيِ
 الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ } وكقوله عنهم : { وَمَا زَحْنٌ بِمَعْدٍ عُودِينَ }